خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٢/٢/٤م

في مسجد مبارك بإسلام آباد، بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

في هذه الأيام الحديث عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه جار، وكنت قد تحدثت عن بعض الغزوات، وسأتحدث الآن عن غزوة بني قريظة. لقد ذكر الواقدي أسماء الذين شهدوها وقال إن أبا بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله كانا ممن حضروها من بني تيم.

وروى عبد الرحمن بن غنم فقال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى بني قريظة قال له أبو بكر وعمر: يا رسول الله! إن الناس يزيدهم حرصًا على الإسلام أنْ يروا عليك زيًّا حسنًا من الدنيا، فانظرْ إلى الحلّة التي أهداها لك سعدُ بنُ عبادة، فالبسْها فليَرَ المشركون اليوم عليك زيًّا حسنا. قال ﷺ: أفعلُ، وأيمُ الله لو أنكما تتفقان لي على أمر واحد ما عصيتكما في مشورة أبدا. ولقد ضرب لي ربي عزّ وجلّ لكما مثلاً، لقد ضربَ مَثَلَكما في الملائكة كمثل جبرائيل وميكائيل، فأما ابنُ الخطاب فمثلُه في الملائكة كمثل جبريل، إن الله لم يدمِّر أمة قط إلا بجبريل، ومثلُه (أي ابنِ الخطاب) في الأنبياء كمثل نوح إذ قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾. ومثلُ ابنِ أبي قحافة في الملائكة كمثل ميكائيل إذ يستغفر لمن في الأرض، ومثله (أي أبي بكر) في الأنبياء كمثل إبراهيم إذ قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ولو أنكما تتفقان لي على أمر واحد ما عصيتكما في مشورة، ولكن شأنكما في المشورة شتى كمثل جبريل وميكائيل ونوح وإبراهيم.

وهناك رواية بصدد محاصرة النبي ﷺ لبني قريظة: عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهَا، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللّه ﷺ: يَا سَعْدُ تَقَدَّمْ فَارْمِهِمْ. فَتَقَدَّمْت حَيْثُ تَبْلُغُهُمْ نَبْلِي، وَمَعِي نَيِّفٌ عَلَى الْخَمْسِينَ (من السهام)، فَرَمَيْنَاهُمْ سَاعَةً وَكَأَنّ نَبْلَنَا مثْلُ جَرَاد. فَانْجَحَرُوا فَلَمْ يَطْلُعْ مِنْهُمْ أَحَدٌ. وَأَشْفَقْنَا عَلَى نَبْلِنَا أَنْ يَذْهَبَ، فَجَعَلْنَا نَرْمِي بَعْضَهَا وَنُمْسِكُ الْبَعْضَ.

فَكَانَ كَعْبُ بْنُ عَمْرٍو الْمَازِنِيّ -وَكَانَ رَامِيًا- يَقُولُ: رَمَيْت يَوْمَئِذ بِمَا فِي كِنَانَتِي، حَتّى أَمْسَكْنَا عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِن اللّيْلِ. قَالَ وَقَدْ رَمَوْنَا وَرَسُولُ اللّه ﷺ وَاقِفٌ عَلَى فَرَسِه عَلَيْه السّلَاحُ وَأَصْحَابُ الْخَيْلِ حَوْلَهُ، ثُمّ أَمَرَنَا رَسُولُ اللّه ﷺ، فَانْصَرَفْنَا إلَى مَنْزِلِنَا وَعَسْكَرِنَا فَبِتْنَا، وَكَانَ طَعَامُنَا تَمْرًا بَعَثَ بِه سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، أَحْمَالَ تَمْرٍ، فَبِتْنَا نَأْكُلُ مِنْهَا. وَلَقَدْ رُئِيَ رَسُولُ اللّه ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَأْكُلُونَ مِنْ ذَلِكَ التّمْرِ وَرَسُولُ اللّه ﷺ يَقُولُ: نِعْمَ الطّعَامُ التّمْرُ.

وكان سعد بن معاذ ﷺ قد حكَم في مصير بني قريظة، فقال رَسُولُ اللَّه ﷺ مشيدا بحكمه: لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّه ﷻ. فَدعَا سَعْدٌ قَالَ: اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا، وَإِنْ كُنْتَ قَطَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَاقْبِضْنِي إلَيْكَ. قَالَتْ عائشة: فَانْفَجَرَ كَلْمُهُ (أي جرحُه) وَكَانَ قَدْ بَرِئَ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهُ إلَّا مِثْلُ الْخُرْصِ، (أي لم يبق من الجرح إلا أثر بسيط) وَرَجَعَ (سعدٌ) إلَى قُبَّتِه الَّتِي ضَرَبَ عَلَيْه رَسُولُ اللَّه ﷺ. قَالَتْ عَائِشَةُ فَحَضَرَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، قَالَتْ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه إنِّي لَأَعْرِفُ بُكَاءَ عُمَرَ مِنْ بُكَاءِ أَبِي بَكْرٍ (أي بسبب سعد الذي كان قد بدأ يحتضر) وَأَنَا فِي حُجْرَتِي وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، أي كانوا متحابين جدا.

وورد عن صلح الحديبية -كما ذكرت في الخطب الماضية- أن النبي ﷺ كان رأى فى الرؤيا أنه يطوف ببيت الله مع أصحابه. وعلى أساس هذه الرؤيا خرج ﷺ من المدينة المنورة لأداء العمرة بجماعة من الصحابة قوامها ١٤٠٠ في صباح يوم الاثنين في بداية شهر ذي القعدة من السنة السادسة الهجرية. ولما علم النبي ﷺ أن كفار مكة قد استعدّوا لمنعه من دخول مكة استشار صحابته، فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله إنما جئنا معتمرين ولم نجئ لقتال أحد، ونرى أن نمضي لوجهنا، فمن صدَّنا عن البيت قاتلناه.

في صلح الحديبية عندما بدأت السفارة للتفاوض مع قريش، جاء عُرْوَةُ من قبل الكفار للتفاوض مع النبي ﷺ وقال: أَيْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِن الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى (أي لو كانت الغلبة لقريش عليك) فَإِنِّي وَاَللَّه لَأَرَى وُجُوهًا وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِن النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ لعروة بن مسعود بلهجة شديدة جدا: امْصُصْ اللَّات (أي اذهب واعبد صنمك اللات). فَقَالَ عروة: مَنْ ذَا؟ قَالُوا أَبُو بَكْرٍ. قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُك.

وكانت منة أبي بكر ﷺ أنه كان قد ساعد عروة بعشر من العشار، ليدفع الدية. على أية حال، قَالَ عروة ذلك وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ.

عند صلح الحديبية حين كان العهد مع قريش يُكتب، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي *(أي إذا كنتُ قد قبلت بعض الشروط للعدو فليس ذلك عصيان أمر الله تعالى بل سينصرني الله تعالى فيه)* قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟ *(أي قال النبي ﷺ بأنني لم أقل لكم أننا سنصلي إلى بيت الله هذا العام)* قَالَ عمر: قُلْتُ لَا، قَالَ ﷺ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ. قَالَ عمر فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ، *(فقد ردّ أبو بكر بالكلمات نفسها التي ردّ بها النبي ﷺ)* فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ. قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ بَلَى أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ، قَالَ الزُّهْرِيُّ قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا *(أي لأكفر عن هذا الخطأ)*. هذه الرواية أُخذتْ من البخاري.

لقد ذكر مرزا بشير أحمد رضي الله عنه تفاصيل صلح الحديبية فكتب:

لقد حضر عروة عند النبي ﷺ الذي كرر له ما قاله لبُديل، فأظهر عروة موافقته من حيث المبدأ، ولكن لكونه مبعوثا من قريش وحتى يضع شروطًا أكثر لصالحهم، أجاب النبي ﷺ: "أَيْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، *(أي إن انتصرت قريش)* فَإِنِّي وَاللَّهِ لأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ". عند هذا، غضب أبو بكر بشدة، فَقَالَ لَهُ: اذهب فلتبجّل اللات وتقبّله، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟ *(واللات كان صنمًا لبني ثقيف، وكان يقصد أبو بكر أنكم تعبدون الأصنام أما نحن فنعبد الله، فهل يُعقل أن تُبدوا الصبر والثبات لأصنامكم أما نحن المؤمنون بالله تعالى فنفر عن رسول الله نتخلى عنه؟!)* فسأل عروة مغاضبًا: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ. وهنا أشار عروة إلى أن أبا بكر قد أدّى عنه دينًا كان عليه.

لقد ورد في رواية للبخاري أَنَّهُ وبينما كانوا يكتبون معاهدة الصلح مع قريش وكان قد تم الاتفاق على الشروط، دخل ابن سهيل، أبو جندل وهو يرسف في القيود والسلاسل، فطالب سهيل –الذي كان سفيرًا من أهل مكة– بتسليمه له، فسلّمه النبي ﷺ لقريش.

لقد ذكر مرزا بشير أحمد بعض تفصيل الحادثة كما ذكر محاورة عمر مع النبي ﷺ لما قال: إنْ كنت نبيًّا صادقًا لله تعالى فلماذا نعطي الدنية في ديننا؟ على أية حال، تفصيله كما يلي:

كان المسلمون يشاهدون تعرض أبي جندل للظلم فكانوا يثورون غضبًا مدفوعين بالغيرة الدينية إلا أنهم كبتوا مشاعرهم أمام النبي ﷺ. ولكن عمر لم يقدر على كبح جماح نفسه، فاقترب من النبي ﷺ وقال بصوت مرتعش: "أَلَسْتَ نبي الله حقًا؟" قال: "بلى"، فقال عمر: "ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ " فرد النبي ﷺ: "بلى"، فقال: "فلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا". ونظرًا إلى حالة عمر رد عليه النبي ﷺ بكلمات مختصرة: "إِنِّي رَسُولُ اللَّه، وَلَسْتُ أَعْصِيه وَهُوَ نَاصِرِي." ولكن ظل الهياج في طبع عمر يتفاقم، فقال: "أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِه؟ قَالَ ﷺ: "بَلَى، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيه الْعَامَ". فقال عمر: لاَ، قَالَ ﷺ: "فَإِنَّكَ آتِيه وَمُطَّوِّفٌ بِه بإذن الله." ومع ذلك بقي عمر مهتاجًا دون أن يطمئن، ولكنه لم يتكلم بسبب مهابة النبي ﷺ فانصرف وجاء إلى أبي بكر وتبادل معه الحديث نفسه.

وردّ عليه أبو بكر ﷺ ردودا مناسبة، وقال أيضا على سبيل النصيحة ما معناه: على رِسلك يا عمر، فإن اليد التي بها أمسكت حبل الله تعالى لا تدَعها تسترخي لأنه والله إن الذي أعطينا أيدينا في يده صادق حتما. يقول عمر ﷺ ما مفاده: لقد قلتُ ما قلت في شدة الحماس ولكن ندمتُ بعد ذلك بشدة وصليتُ وصمتُ وتصدّقتُ كثيرا على سبيل النوافل وحرّرتُ العبيد توبةً على ما صدر مني.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ في بيان وقائع صلح الحديبية: عندما ذهب النبي ﷺ للطواف بالكعبة وعلم الكفار بذلك أرسلوا إليه ﷺ زعيما لهم ليقترح عليه ألا يأتي للطواف هذا العام. فجاء هذا الزعيم إلى النبي ﷺ وبدأ بالكلام. وفي أثناء الكلام لمس الزعيم لحية رسول الله ﷺ، وقال: أرجوك ألا تقوم بالطواف هذا العام بل أخِّر مشروعك هذا إلى العام القادم.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ: من المألوف في بلاد آسيوية أن الناس عندما يريدون من أحد أن يقبل كلامهم يلمسون لحيته على سبيل التوسل، أو يلمسون لحيتهم ويقولون: أنا زعيم قوم، فأرجوك أن تقبل كلامي. فعلى هذا المنوال لمس هذا الزعيم أيضا لحية رسول الله ﷺ. فتقدم صحابي وضرب ذراعه وصرخ في وجهه قائلا: "اكفف يدك". عرف الزعيم هذا الصارخ وقال له: أأنت الذي أحسنتُ إليه بمناسة كذا وكذا؟ فتأخّر الصحابي بسماع ذلك. ثم لمس الزعيم لحية رسول الله ﷺ مرة أخرى متوسلا إليه. يقول الصحابة أنهم غضبوا بشدة على لمسه لحية رسول الله ﷺ على هذا النحو ولكن لم نجد رجلا لم يُحسن إليه الزعيم المذكور في مناسبة ما. فتمّنينا لو كان فينا شخص لم يُحسن إليه الزعيم. ففي هذه الأثناء تقدّم شخص يرتدي خوذة ولباس حرب من قمة الرأس إلى أخمص قدميه، وقال مخاطبا الزعيم:

"أخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وكان ذلك أبو بكر ﷺ. نظر الزعيم إليه وقال: ليس لي أن أقول لك شيئا لأن ليست لي عليك منّة.

وقد جاء في سيرة خاتم النبيين: عندما كُتب الميثاق عند صلح الحديبية في شهر ذي الحجة العام السادس من الهجرة أُعدّت له نسختان ووقّع عليه كبار زعماء الطرفين كشهود. أما من وقّع من جانب المسلمين فهم: أبوبكر، وعمر، وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ﷺ. كان أبو بكر ﷺ يقول: ليس في الإسلام فتح أكبر من صلح الحديبية.

سرية سيدنا أبي بكر ﷺ إلى بني فزارة: لقد ورد في بيانها أنها وقعت في العام السادس من الهجرة. كان بنو فزارة يسكنون في نجد وفي وادي القرى. وقد جاء في الطبقات الكبرى وفي السيرة النبوية لابن هشام أن هذا الجيش أُرسل تحت إمرة زيد بن حارثة ولكن يتبين من الحديث الوارد في صحيح مسلم وسنن أبي داود أن رسول الله ﷺ أمّر عليه أبا بكر ﷺ. فقد جاء في رواية صحيح مسلم عن أياس بن سلمة عن أبيه أننا حاربنا قبيلة فزارة وكان أبو بكر ﷺ أميرا علينا.

لقد ذكر حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ أيضا هذه السرية فقال: لقد بعث رسول الله ﷺ كتيبة الصحابة إلى بني فزارة تحت إمرة أبي بكر ﷺ. كانت هذه القبيلة تحارب المسلمين. كان في كتيبة المسلمين سلمة بن الأكوع أيضا الذي كان من الرماة المهرة وبارعا في العَدْوِ. يقول سلمى بن الأكوع ما معناه: دنونا إلى مقر هذه القبيلة قرب صلاة الفجر. وعندما فرغنا من الصلاة أمرنا أبو بكر ﷺ بالهجوم. فدَنَونَا مِن الْمَاءِ وقُتل عديد من المشركين حتى هربوا فأسرنا كثيرا منهم. كان من بين المشركين جماعة من الصبيان والنساء تتقدم بسرعة إلى الجبل. فبدأتُ أرميهم في وسط الجبل، فتوقفت هذه الجماعة مذعورة، فأسرناهم. وَفِيهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ فَزَارَةَ عَلَيْهَا قَشْعٌ مِنْ أَدَمٍ وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا مِنْ أَحْسَنِ الْعَرَبِ وَأَجْمَلِه...فَجئْت بِهِمْ أَسُوقُهُمْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَنَفَّلَنِي أَبُو بَكْرٍ ابْنَتَهَا. فلما قدمنا الْمَدِينَةَ أخذها النبي ﷺ مني وبَعَثَ بِهَا إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَفِي أَيْدِيهِمْ أُسَارَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَفَدَاهُمْ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ.

وقد جاء عن غزوة خيبر أن النبي ﷺ خرج إليها في شهر محرم العام السابع الهجري. إن خيبر نخل تقع على بُعد ١٨٤ كيلومترا جنوب المدينة، وفيها سلسلة من الصخور البركانية. كانت في خيبر حصون كثيرة لليهود ولا تزال آثار بعضها موجودة إلى اليوم، وقد فتحها المسلمون في غزوة خيبر. كانت هذه المنطقة خصبة جدا وأكبر مركز لليهود. وقد جعل النبي ﷺ سِبَاع بنْ عُرْفُطَة غِفَارِى أميرا على المدينة بعده. استمرت محاصرة قلاع خيبر إلى أكثر من عشر ليال.

قال بريدة ﷺ:كان رسول الله ﷺ تأخذه الشقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس، فأرسل أبا بكر ﷺ فأخذ راية رسول الله ﷺ، ثم نهض فقاتل قتالا شديدا، ثم رجع، ولم يكن فتح وقد جهد. ثم أرسل عمر ﷺ فأخذ راية رسول الله ﷺ فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الأول، ثم رجع، ولم يكن فتح.

لقد ورد في معظم كتب التاريخ والسِّيَر أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أُمِّرا على الجيش، ولكن لم يُكتب لهما فتح القلعة، غير أن هناك كتاب بعنوان: "سيدنا الصديق الأكبر"، طُبع في لاهور بباكستان في فبراير ٢٠١٠م، وقد قرأه الباحثون من جماعتنا وبعثوا إلي ما جاء فيه. كتب فيه المؤلف أن أبا بكر ﷺ فتح تلك القلعة ولكنه لم يكتب أي مصدر عن ذلك. قال أُمّر على جيش أبو بكر لفتح قلعة وفتحها وولِّي عمر لفتح قلعة ثانية وهو أيضا فتحها، ووُلي محمد بن مسلمة مهمة فتح قلعة ثالثة ولكنه لم ينجح فقال النبي ﷺ: صباح الغد لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يحب الله ورسوله ويَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ. فأعطى الراية عليا ففتح قلعة قموس. [سيدنا الصديق الأكبر ﷺ ص ٤٩]

وهناك رواية للواقدي عن غزوة خيبر، والناس يقرؤون تاريخ الواقدي لذا أذكر هذه الرواية ولكن ليس ضروريا أن تكون صحيحة مئة بالمئة، فقال: في خيبر قَالَ للنبي ﷺ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْيَهُودَ تَرَى النَّخْلَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْكَارِ أَوْلَادِهِمْ، فَاقْطَعْ نَخْلَهُمْ. فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَطْعِ النَّخْلِ، وَوَقَعَ الْمُسْلِمُونَ فِي قَطْعِهَا حَتَّى أَسْرَعُوا فِي الْقَطْعِ، (هذا لا يمكن أن يُقبل مئة بالمئة) فَجَاءَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ وَعَدَكُمْ خَيْبَرَ، وَهُوَ مُنْجِزٌ مَا وَعَدَكَ، فَلَا تَقْطَعْ النَّخْلَ. فَأَمَرَ فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَهَى عَنْ قَطْعِ النَّخْلِ. (كتاب المغازي للواقدي ج ٢ ص ١٢٠ باب غزوة خيبر)

حين فتح الله تعالى خيبر قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْكَتِيبَةَ، وَهِيَ وَادِي خَاصّ، بَيْنَ قَرَابَتِه وَبَيْنَ نِسَائِه وَبَيْنَ رِجَالِ الْمُسْلِمِينَ وَنِسَاءٍ أَعْطَاهُمْ مِنْهَا، وفي تلك المناسبة قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ مِئَةَ وَسْقٍ من القمح والتمر بالإضافة إلى أقاربه الآخرين. (السيرة النبوية لابن هشام ص ٧٠٧ ذكر مقاسم خيبر وأموالها)

الوسق ستون صاعا والصاع يساوي كيلوين ونصف، وهكذا يكون سهم أبي بكر ١٥ ألف كيلو تقريبا.

سرية أبي بكر ﷺ إلى نجد، ونجد شبه الصحراء ولكنها منطقة خضراء، وفيها أودية متعددة وجبل وتمتد نحو الجنوب إلى اليمن ونحو الشمال إلى صحراء الشام والعراق. وفي غربها تقع الحجاز وترتفع عن سطح البحر بحدود ألف ومئتي متر. (معجم السيرة ص٢٩٧) حين اجتمع بنو كلاب في نجد ضد المسلمين

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر لمواجهتهم. وحدثت في شعبان سنة سبع للهجرة وعن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر وأمّره علينا. (سبل الهدى والرشاد سرية أبي بكر إلى بني كلاب بنجد ج ٦ ص١٣١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٣)

ورد عن مجيء أبي سفيان إلى مكة بعد صلح الحديبية: قبيلة بني بكر التي كانت حليفة قريش هاجمت بني خزاعة حليفةَ المسلمين مخالفين بذلك صلحَ الحديبية. وساعد قريشٌ بني بكر بالأسلحة والركوبات و لم يراعوا شروط صلح الحديبية. وقالوا بكل تكبر نحن لا نبالي بأي معاهدة، عندها أراد أبو سفيان تجديد معاهدة صلح الحديبية فجاء إلى المدينة وقابل النبيَّ ﷺ لكنه أعرض عنه. ثم توجه أبو سفيان إلى سيدنا أبي بكر ﷺ وكلَّمه ليحدِّث النبيَّ ﷺ فرفض طلَبه، فجاء أبو سفيان إلى سيدنا عمر ﷺ وهو الآخر رفض مما عاد أبو سفيان خائبا. (السيرة النبوية لابن هشام ص٧٣٤-٧٣٥)

غزوة فتح مكة: تُسمى غزوة الفتح الأعظم أيضا، وحدثت في الثامنة للهجرة. ورد في تاريخ الطبري: أمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر ﷺ على ابنته عائشة رضي الله عنها وهى تحرك بعض جهاز رسول الله ﷺ فقال أي بنية أأمركم رسول الله بأن تجهزوه؟ قالت نعم فتجهز، قال فأين ترينه يريد؟ قالت والله ما أدري ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال ودعا: اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس. (تاريخ الطبرى، ذكر الخبر عن فتح مكة ج٣ ص١٦٦)

وورد تفصيل هذا الحادث في السيرة الحلبية أن أبا بكر ﷺ لما سأل عائشة رضي الله عنها دخل عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أردت سفرا؟ قال نعم؟ قال: أفأتجهز، قال نعم، قال: فأين تريد يا رسول الله؟ قال: قريشا، وأخف ذلك يا أبا بكر، وأمر ﷺ الناس بالجهاز، وطوى عنهم الوجه الذي يريده، وقد قال له أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، أوليس بيننا وبينهم مدة؟ قال: إنهم غدروا ونقضوا العهد، واطو ما ذكرت لك. (السيرة الحلبية)

وفي رواية أن أبا بكر ﷺ قال: يا رسول الله أتريد أن تخرج مخرجا، قال: نعم، قال: لعلك تريد بني الأصفر (الروم)، قال: لا، قال: أفتريد أهل نجد. قال: لا، قال: فلعلك تريد قريشا، قال: نعم. قال: يا رسول الله أليس بينك وبينهم مدة؟

قال: أو لم يبلغك ما صنعوا ببني كعب: يعني خزاعة، قال: وأرسل ﷺ إلى أهل البادية ومن حوله من المسلمين في كل ناحية يقول لهم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة، فقدمت المدينة بحسب إعلان النبي ﷺ من قبائل العرب: أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة.

ثم دعا رسول الله ﷺ قائلا: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها. وأخذ بالأنقاب على جميع الطرق للاطلاع على كل ذاهب وقادم، وقال لهم لا تدَعوا أحدا يمرّ بكم تنكرونه إلا رددتموه لئلا يعرف قريش استعداد المسلمين. (السيرة الحلبية)

قال سيدنا المصلح الموعود ﷺ بيانا لتفصيل هذه الواقعة:

طلب رسول الله ﷺ من إحدى زوجاته أن تحزم حقائبه للسفر فبدأت بذلك. وقال ﷺ لعائشة رضي الله عنها أن تُعدّ له الشعير أو تحمِّص بعض الحبوب الأخرى، فكان الأكل في ذلك العصر من هذا القبيل، فبدأت هي أيضا تصفية الحبوب من التراب وغيره. في هذه الأثناء جاء أبو بكر ﷺ إلى بيت ابنته وحين لاحظ التجهيز سألها يا عائشة ما الذي يجري؟ وهل يستعد رسول الله ﷺ لسفر؟ قالت: يبدو أنه يستعد للسفر إذ أمرَنا ﷺ للاستعداد. قال: هل هذا استعداد لقتال؟ قالت: لا أدري، إنما قال لنا أن نُعد جهاز سفره ونشتغل في ذلك. بعد يومين أو ثلاثة أيام دعا رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وقال: تعرفان أن رجال بني خزاعة جاؤوا إلى هنا؟ ثم أخبرهما بما جرى وقال كان الله تعالى قد أخبرني سلفًا بأن أهل مكة قد غدروا. وبيننا وبينهم عهد، ومما يُنافي مقتضى الإيمان أن نخاف ولا نستعد للمبارزة نظرا إلى قوة أهل مكة. لذا سوف نذهب إلى هناك، فما رأيكما؟ قال أبو بكر: يا رسول الله، إنك قد عاهدتَهم، ثم هم قومك فهل ستقتل قومك؟ قال ﷺ لن نقتل قومنا بل سنقتل ناقضي العهد. ثم سأل ﷺ عمرَ ﷺ فقال عمرُ: بسم الله، كنت أدعو كل يوم أن نجد فرصة لنقاتل الكفار دفاعا عن رسول الله ﷺ. فقال النبي ﷺ: إن أبا بكر رقيق القلب، ولكن القول الحق يجري على لسان عمر أكثر. ثم قال فاستعدوا للسفر. ثم أرسل ﷺ إعلانا إلى القبائل المجاورة بأن الذي يؤمن بالله ورسوله فليحضر المدينة في مستهل شهر رمضان، فبدأت الجيوش تجتمع حتى تكوّن الجيش من عدة آلاف وخرج رسول الله ﷺ للقتال.

فعندما خرج رسول الله ﷺ وقال اللهم إني أسألك أن يتم طمس آذان أهل مكة وتعمي عيونهم لئلا يرونا ولا يبلغ آذانَهم كلامُنا. فخرج رسول الله ﷺ ولم يصل إلى مكة خبر خروج جيش قوامه عشرة آلاف مع أنه كان في المدينة مئات المنافقين. فهذه كانت أفعال الله. (السياحة الروحانية)

وقد ورد في الطبقات لابن سعد، أن ركب المسلمين هذا نزل مرَّ الظهران عشاءً، وهو موضع على بعد خمسة وعشرين كيلومترا من مكة على طريق المدينة، أي كان الركب على بُعد ٢٥ كيلومترا من مكة، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف شعلة نار، ولم يبلغ قريشا مسيرُه وهم كانوا حزانى ويخافون من أن يغزوهم النبي ﷺ، فصحيح أن الخبر لم يصل إليهم إلا أنهم كانوا يفكرون أن اندلاع الحرب الآن محتم،

فكانوا يهتمون بذلك. ويبدو أنه كُتب هنا خطأً أنهم، إذ كانوا قد علموا بمسيرهم، وربما علموا بذلك بعد وصولهم إلى هناك، فحين نزل الركب هناك وأشعلت النيران في عشرة آلاف موضع بعث قريش أبا سفيان بن حرب للاستطلاع وقالوا له: إن لقيت محمدا ﷺ فخذ لنا منه أمانا لنا. فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء، فلما رأوا العسكر فزعوا كثيرا. وكان رسول الله ﷺ، قد استعمل على الحرس تلك الليلةَ عمرَ بن الخطاب فسمع العباس بن عبد المطلب صوت أبي سفيان فقال: أبا حنظلة (فهي كنية أبي سفيان)؟ فقال: لبيك فما وراءك؟ فقال: هذا رسول الله ﷺ في عشرة آلاف! فأجاره وخرج به وبصاحبَيه حتى أدخلهم على رسول الله ﷺ، فأسلموا كلهم الثلاثة. وهذا سيستمر في المستقبل إن شاء الله.